المحاضرة الثَّامنة: توجيهُ شيءٍ منَ العشرِ المتواتِرَةِ

- منْ سُورة يونس -

هذه هي المحاضرة الثَّامنة في توجيه شيءٍ من العشر المتواترة، وهي خاصَّةٌ ببعض المواضع من سورة يونس، نسأل الله العون والتَّوفيق:

الموضع الأوَّل: قوله تعالى: ﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ**﴾[يونس:2].

1- محلُّ الخلاف هو كلمة (لساحرٌ).

2- فقد قرأها الْكُوفِيُّونَ وَابْن كثير: (لَسَاحِرٌ مُبين) بِالْألف.

وَالْبَاقُونَ (لَسِحْرٌ مُبين) بِغَيْر ألفٍ[1].

3- وحجة من قرأ (لَسَاحِرٌ) على اسمِ الفاعل، أنَّ المقصود النَّبيُّ ﷺ؛ إذ سبقت الإشارةُ إليه في قوله ﷻ: (أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ)[2].

ويعضُدُه أنَّهُ جاءَ مُصَرَّحًا به (الشَّخص) في قوله تعالى في سورة (ص): (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب)[ص:4][3].

- وحُجَّة من قرأ (لَسِحْرٌ) على المصدر، أنَّ: ما جاء به النبيُّ ﷺ من الوحي والقرآن هو السحر، إذ «أَن السحر يدل على السَّاحر؛ لِأَن الْفِعْل لَا يكون إِلَّا من فَاعل، والساحر قد يُوجد وَلَا يُوجد مَعَه السحر»[4].

ويُقوِّيه أنَّه كذلك سبقت الإشارة إليه بالفعل (أوحينا) الذي يقتضي وحيًا وهو القرآن الذي وُصِف بأنه سِحرٌ. كما أنَّهُ جاء صريحًا في قوله تعالى في (الزخرف): (فلما جاءهم الحق قالوا هذا سِحْرٌ وإنا به كافرون)[الزخرف:30][5].

---

[1] يُنظر: ابن الجزري، تحبير التيسير، ص396.

[2] يُنظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص327.

[3] يُنظر: الفارسي، الحجة، ج4، ص251.

[4] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص327.

[5] يُنظر: الفارسي، الحجة، ج4، ص251.

قال المهدوي رحمه الله (ت: نحو440هـ): «(لَسِحْرٌ مُبِينٌ) القراءةُ على (فِعْل) و(فَاعِل) حسنتان، وقد تقدَّم في أوَّل السُّورة ما يُحمَلُ عليه كلُّ واحدٍ منهما، وهو قوله تعالى: ﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ**﴾؛ فذَكَرَ النبيَّ ﷺ والوحيَ.

فَمَن قرأ (لَسَاحِرٌ)؛ فمعناه: قال الكافرون إنَّ هذا الرَّجل لساحر مبين.

ومن قرأ (لَسِحْرٌ)؛ فمعناه: قال الكافرون إنَّ هذا الكلام (يعنون الوحي) لسِحْرٌ مُبِينٌ»[1].

الموضع الثَّاني: قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[يونس:16].

1- محلُّ الخلاف هو كلمة (ولا أدراكم).

2- فقد قرأها ابن كثير (رواية قنبل، أما البزي فمن بعض طرقه فقط): (ولَأَدراكم) بغير أَلِفٍ بعد اللام، فتصير لام توكيد.

والبقيَّة (ولا أدراكم) بإثباتها، على أنها (لا) النافية[2].

3- ومن قرأ «(وَلَأَدْرَاكُمْ) بِلَامٍ دَخَلَتْ عَلَى فِعْلٍ مُثْبَتٍ مَعْطُوفٍ عَلَى مَنْفِيٍّ، وَالْمَعْنَى: وَلَأَعْلَمَكُمْ بِهِ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِي وَعَلَى لِسَانِ غَيْرِي، وَلَكِنَّهُ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَخَصَّنِي بِهَذِهِ الْكَرَامَةِ وَرَآنِي لَهَا أَهْلًا دُونَ النَّاسِ»[3]. وقال الألوسيُّ رحمه الله (ت:1270هـ): «(وَلَأَدْراكم) بلام التوكيد وهي الواقعة في جواب (لَوْ)، أي: لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري، على معنى: أنه الحق الذي لا محيص عنه؛ لو لم أرسل به لأرسل به غيري، وجيء باللام هنا للإيذان بأن إعلامهم به على لسان غيره ﷺ أشدُّ انتفاءً وأقوى»[4].

– ومَنْ قرأ (ولا أدراكم)؛ فعلى إثباتِ (لا) النافية، والمعنى: وَلَا أعلمكُم بِهِ، أَي: وَلَا أنزل هَذَا الْقُرْآن عَلَيْكُم. فهو من قبيل عطف فعل منفيٍّ على الفعل المنفيِّ قبله[5].

---

[1] المهدوي، شرح الهداية، ص336.

[2] يُنظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص282.

[3] أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص25.

[4] الألوسي، روح المعاني، ج6، ص81.

[5] يُنظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص329. و: مكي، الكشف، ج1، ص514-515.

الموضع الثَّالث: قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾[يونس:22].

1- محلُّ الخلاف هو كلمة (يُسيِّركم).

2- فقد قرأها ابن عامر وأبو جعفر (يَنْشُرُكُمْ) بياءٍ مفتُوحة ونونٍ ساكنة وشينٍ مضمومة.

وقرأ الباقون (يُسَيِّرُكُمْ) من التسيير[1].

3- وحجة من قرأ (يَنْشُرُكُمْ) أنَّها من (النَّشْرِ والنُّشور)، والمعنى: هو الذي يَبُثُّكم ويُفَرِّقكم في البر والبحر، فتكون كقوله تعالى: ﴿وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾، وقوله: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة﴾، وقوله: ﴿فانتشروا في الأرض﴾؛ إذ البَثُّ والتَّفريق والنَّشرُ واحدٌ في المعنى

– ومن قرأ (يُسَيِّرُكم)؛ فعلى أنَّها من (السَّيْر) بمعنى المشي، ومعنى التَّسيير: الحملُ على السَّير والتمكين منه[2]، بدليل قوله تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض﴾، وقوله ﷻ: ﴿فامشوا في مناكبها﴾[3].

الموضع الرَّابع: قوله تعالى: ﴿**هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾[يونس:30].

1- محلُّ الخلاف هو كلمة (تبلو).

2- فقد قرأها حَمْزَة وَالْكسَائِيّ وَخلف (تتلو) بِالتَّاءِ. وَالْبَاقُونَ (تبلو) بِالْبَاء[4].

3- وحجة من قرأ (تَبْلُو) بالباءِ، أنها من الابتلاء بمعنى الاختبار والإمتحان، والمعنى: هُنالك تخبُرُ كلُّ نفسٍ وتُعاينُ وتعلم علمَ يقين نتيجَة ما أسلفت من الأعمال في الدُّنيا؛ ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾، فهي من قبيل قوله سبحانه: ﴿وبلوناهم

---

[1] يُنظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص282.

[2] يُنظر: الألوسي، روح المعاني، ج6، ص90.

[3] يُنظر: الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج4، ص265-266. و: مكي، الكشف، ج1، ص516.

[4] يُنظر: ابن الجزري، تحبير التيسير، ص398.

بالحسنات والسيئات﴾ أي: اختبرناهم، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾، وقريبٌ منه قولهم: البلاء ثم الثناء، أي: لا ينبغي أن تُثنيَ على أحد حتى تبلوَهُ وتَخبُرَهُ، ليكون الثناء عن علم بما يوجبه[1].

– وأمَّا مَن قرأ (تَتْلو) بتائين؛ فهو على معنيين:

إمَّا أن تكون من (التَّلْوِ) بمعنى المتابعة، تقول: دخلَ عليٌّ وتلاه زيدٌ، أي تبعه، فهي كقوله تعالى: ﴿والقمرِ إذا تلاها﴾ أي تبعها، والمعنى على ذلك: هُنَالِكَ تَتْبَعُ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْهُ مِنْ عَمَلٍ؛ فَيَسُوقُهَا إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ[2].

وإمَّا أن تكون من (التلاوة) بمعنى القراءة، كقوله تعالى: ﴿وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ﴾، أي تقرأ، فيكون معنى الآية على ذلك: هنالك تقرأ كل نفسٍ ما في صحيفة أعمالها من الحسنات والسيئات، فهي على ذلك مثل قوله ﷻ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا إقرأ كتابك﴾[3].

قال ابنُ جريرٍ رحمه الله (ت:310هـ): «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء، وهما متقاربتا المعنى؛ وذلك أن من تبع في الآخرة ما أسلفَ من العمل في الدنيا، هجم به على مَوْرده، فيخبر هنالك ما أسلفَ من صالح أو سيئ في الدنيا، وإنّ مَنْ خَبَرَ ما أسلف في الدنيا من أعماله في الآخرة، فإنما يخبرُ بعد مصيره إلى حيث أحلَّه ما قدم في الدنيا من علمه، فهو في كلتا الحالتين مُتَّبع ما أسلف من عمله، مختبر له، فبأيتهما قرأ القارئ كما وصفنا، فمصيبٌ الصوابَ في ذلك»[4].

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[يونس:58].

1- محلُّ الخلاف هو كلمتا (فليفرحوا، ويجمعون).

---

[1] يُنظر: الأزهري، معاني القراءات، ج2، ص44. و: الفارسي، الحجة، ج4، ص271. و: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص331.

[2] يُنظر: المهدوي، شرح الهداية، ص339-340. و: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج11، ص153.

[3] يُنظر: ابن خالويه، الحجة، ص181. و: ابن جرير، جامع البيان، ج15، ص81.

[4] ابن جرير، جامع البيان، ج15، ص82.

2- أمَّا كلمة (فليفرحوا)؛ فقد قرأها رُويس (عن يعقوب) فقط بالخطاب (فَلْتَفْرَحُوا). والباقون على الغيبة (فَلْيَفْرَحُوا).

وأمَّا كلمة (مِمَّا يجمعون)؛ فقد قرأها أَبُو جَعْفَرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَرُوَيْسٌ بِالْخِطَابِ (تَجمعون)، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْغَيْبِ (يَجمعون)[1].

3- وحجة من قرأ بالياءِ فيهما (فليفرحوا، يجمعون)؛ أنَّ المقصود هم الكفار. قال ابن جريرٍ رحمه الله (ت:310هـ): «فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار: (فَلْيَفْرَحُوا) بالياء (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) بالياء أيضًا على التأويل الذي تأولناه، من أنه خبر عن أهل الشرك بالله. يقول: فبالإسلام والقرآن الذي دعاهم إليه، فليفرح هؤلاء المشركون، لا بالمال الذي يجمعون، فإن الإسلام والقرآن خيرٌ من المال الذي يجمعون»[2].

- وأمَّا مَن قرأ بالخطاب فيهما؛ فعلى أنَّ الكلام للمخاطبين والغُيَّبِ جميعًا، إلاَّ أنهما لما اجتمعا غُلِّب جانب المخاطب، كما تغلِّب التذكير على التأنيث إذا اجتمعا، فالمرادُ هنا عموم المؤمنين والكافرين، المستفادُ من كلمة (يا أيها النَّاسُ)[3].

- وأمَّا من قرأ (فلتَفرحوا) بالخطاب، و(يجمعون) بالغيبة؛ فعلى أنَّ المراد بالخطاب المؤمنون، والمراد بالغُيَّب المشركون، والمعنى على ذلك: فافرحوا أيها المؤمنون بما حباكم الله من الإسلام والقرآن، فهو خير مما يجمع هؤلاء المشركون من الأموال والمكاسب. وهذا هو الْمُنَاسِبُ لِحَالَةِ الْمُسْلِمِينَ وَحَالَةِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا فِي ضَعْفٍ لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْ ضِعَافِ الْقَوْمِ أَوْ لِأَنَّ أَقَارِبَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ تَسَلَّطُوا عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَمَنَعُوهُمْ حُقُوقَهُمْ إِلْجَاءً لَهُمْ إِلَى الْعَوْدِ إِلَى الْكُفْرِ، فيما كان المشركون أهل ثروة ومال وحرص عليها، وقد وُصفوا بذلك في غير ما آية[4].

---

[1] يُنظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص285. ومعنى الآية على ما ذكر ابنُ جريرٍ رحمه الله: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (قل) يا محمد لهؤلاء المكذِّبين بك وبما أنزل إليك من عند ربك (بفضل الله) أيها الناس، الذي تفضل به عليكم، وهو الإسلام، فبيَّنه لكم، ودعاكم إليه، (وبرحمته) التي رحمكم بها، فأنزلها إليكم، فعلَّمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه، وبصَّركم بها معالم دينكم، وذلك القرآن، (فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)، يقول: فإن الإسلام الذي دعاهم إليه، والقرآن الذي أنزله عليهم، خيرٌ مما يجمعون من حُطَام الدنيا وأموالها وكنوزها». جامع البيان، ج15، ص105.

[2] ابن جرير، جامع البيان، ج15، ص108.

[3] يُنظر: الفارسي، الحجة، ج4، ص283.

[4] يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج11، ص205-206.

الموضع السَّادس: قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[يونس:81].

1- محلُّ الخلاف هو كلمة (السحر).

2- فقد قرأها أَبُو عَمْرو وَأَبُو جَعْفَر (بِهِ آلسِّحْرُ) بِالْمدِّ على الِاسْتِفْهَام.

وَالْبَاقُونَ (السِّحرُ) بِغَيْر مد على الْخَبَر[1].

3- وحجة من قرأ بالمدِّ (آلسِّحرُ)؛ أنَّه جعل (ما) استفهاميَّةً في محلِّ رفعٍ بالابتداء، والخبرُ جملة (جئتم به)، و(آلسِّحرُ) بدلٌ من (ما) الاستفهامية، وحَسُن إدخال الاستفهام على (السحر) ليتساوى البدل والمبدَل منه في الاستفهام، ولا خبر له على هذا؛ لأنَّ خبره نفس خبر الأول[2].

كما يجوز أن تكون (آلسحر) خبرا لمبتدأ محذوف، والتقدير: آلسحرُ هو، أو: أهو السحر؟[3]، وعلى ذلك تكون (ما) على هذا التوجيه في زنة (أيُّ) الاستفهاميَّة، فكأنَّهُ قيل: أيُّ شيء جئتم بِهِ؟ آلسحر هُوَ؟[4].

قال ابنُ عاشور رحمه الله (ت:1393هـ=1973م): «وَهُوَ مستعمَلٌ فِي التَّحْقِيرِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ أَمْرٌ هَيِّنٌ يَسْتَطِيعُهُ نَاسٌ كَثِيرُونَ»[5].

– وأمَّا من قرأ (السِّحرُ)؛ فعلى وجه الخبر من موسى عليه السلام عن الذي جاءت به سحرة فرعون، أنه سحرٌ. كأن معنى الكلام على تأويلهم: قال موسى: الذي جئتم به أيّها السحرة، هو السحر[6].

فتكون على ذلك (ما) موصولةً لا استفهاميَّة، و(جِئتم به) صلتها، و(السحر) هي الخبر، ويُقوي هذا أنها في حرف ابن مسعودٍ رضي الله عنه: (ما جئتم به سحرٌ)، وفي حرف أُبَيٍّ رضي الله عنه: (ما أتيتم به سحرٌ)[7].

---

[1] يُنظر: ابن الجزري، تحبير التيسير، ص401.

[2] يُنظر: مكي، الكشف، ج1، ص521.

[3] يُنظر: مكي، مشكل إعراب القرآن، ج1، ص351.

[4] يُنظر: الفراء، معاني القرآن، ج1، ص475.

[5] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج11، ص256.

[6] يُنظر: ابن جرير، جامع البيان، ج15، ص160.

[7] يُنظر: ابن جرير، جامع البيان، ج15، ص162. و: مكي، الكشف، ج1، ص521.

كما يجوز أن نجعل (السحرُ) عطف بيان من (ما) الموصولة، والخبر جملة (إن الله سيبطله). قال ابنُ عاشورٍ رحمه الله (ت:1393هـ=1973م): «وَقَوْلُهُ: (السِّحْرُ) قَرَأَهُ الْجُمْهُورُ بِهَمْزَةِ وَصْلٍ فِي أَوَّلِهِ هِيَ هَمْزَةُ (الْ)، فَتَكُونُ (مَا) فِي قَوْلِهِ: (مَا جِئْتُمْ بِهِ) اسْمٌ مَوْصُولٌ، وَ(السِّحْرُ) عَطْفُ بَيَانٍ لِاسْمِ الْمَوْصُولِ [...] و(إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ) خَبَرُ (مَا) الْمَوْصُولَةِ»[1].

ويُقوي وجه الإخبار، أنَّ موسى عليه السلام لم يكن شاكًّا أنَّ ما جاء به السحرة تخييلٌ لا حقيقة له، وأنَّهم إنما جاء بهم فرعون ليواجهوا الحق الذي جاء به من عند الله بباطلهم، فلم يكن له أن يستجيز استخبارهم عن ذلك، وإنما أخبرهم جازمًا بأن ما جاؤوا به سحر وأن الله سيبطله[2].

وأمَّا تعريف (السِّحرُ)؛ فيقول في تخريجها الفراءُ رحمه الله (ت:207هـ): «وإنما قال: (السحر) بالألف واللام؛ لأنه جواب لِكلام قد سبق، ألا ترى أنهم قالوا لِما جاءهم بِهِ موسى: هذا سحر؟ فقال: بَلْ ما جئتم بِهِ السحر. وكل حرف ذكره متكلم نكرة فردْتَ عليها لفظها فِي جواب المتكلم زدت فيها ألفا ولاما، كقول الرجل: قد وجدت درهمًا، فتقول أنت: فأين الدرهم؟ أو: فأرني الدرهم. ولو قلت: فأرني درهمًا، كنت كأنك سألته أن يريكَ غير ما وجده»[3].

وأقربُ شيءٍ إليه عبارة ابن جريرٍ رحمه الله (ت:310هـ): «كلام العرب إدخال (الألف واللام) في خبر (ما) و(الذي) إذا كان الخبر عن معهود قد عرفه المخاطَب والمخاطِب، بل لا يجوز إذا كان ذلك كذلك إلا بالألف واللام، لأنّ الخبر حينئذ خبرٌ عن شيء بعينه معروف عند الفريقين، وإنما يأتي ذلك بغير الألف واللام، إذا كان الخبر عن مجهول غير معهود ولا مقصود قصدَ شيء بعينه، فحينئذ لا تدخل الألف واللام في الخبر. وخبرُ موسى كان خبرًا عن معروف عنده وعند السحرة، وذلك أنها كانت نسبت ما جاءهم به موسى من الآيات التي جعلها الله عَلَمًا له على صدقه ونبوته، إلى أنه سحرٌ، فقال لهم موسى: السحرُ الذي وصفتم به ما جئتكم به من الآيات أيها السحرة، هو الذي جئتم به أنتم، لا ما جئتكم به أنا»[4].

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج11، ص256.

[2] يُنظر: ابن جرير، جامع البيان، ج15، ص160-161.

[3] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص475.

[4] ابن جرير، جامع البيان، ج15، ص161-162.